

شواهد فخر الدين الرازي وقيمتها التفسيرية في كتابه: "التفسير الكبير"

د. الحسين بركات

قسم اللغة والأدب العربي. كلية الآداب واللغات
جامعة محمد بوضياف. المسيلة

Résumé:

Les ouvrages d'interprétation ne manquent pas de références et de citations à la différence de leurs genres et la diversité de leurs orientations. Errazi, comme bien d'autres interprètes, a multiplié le recours aux citations dans ses interprétations. En effet, c'est le guide et l'outil de l'interprète. Il l'a bien employée et, de ce fait, je vais me contenter dans cet article de la mise en valeur de certaines citations en matière de la signification linguistique et son impact sur l'élucidation du texte coranique ainsi que ses finalités. L'illustration via le coran, la poésie et le proverbe en est l'exemple.

ملخص:

لا تخلو كتب التفسير على اختلاف مشاربها وتنوع اتجاهاتها من وفرة الشواهد، والرازي كغيره من المفسرين قد أكثر من الشاهد في تفسيره. لأنه دليل المفسر وأداته. ووظيفه أحسن توظيف وسوف أقتصر في مقالي هذا على بيان بعض هذه الشواهد في مجال الدلالة اللغوية وأثرها في إبراز معاني القرآن الكريم ومقاصده كالاستشهاد بالقرآن وبالشعر وبالمثل.

الكلمات المفتاحية:

الفخر الرازي. الشاهد. الدلالة اللغوية.

القرآن. الشعر. المثل

التحليل:

المقصود بالشواهد في التفسير هي

كل الوسائل التي يستخدمها المفسر، والتي

تعينه على استنباط المعنى من أي الذكر الحكيم أو ترجيحه، والتي يستقيها المفسر من مصادرها وهي القرآن الكريم وقراءاته، والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين، واللغة العربية، والرأي والاجتهاد. ولذلك لا تخلو كتب التفسير على اختلاف مشاربها وتنوع اتجاهاتها من وفرة هذه

الشواهد، والرازي كغيره من المفسرين قد أكثر من الشاهد في تفسيره ولا غرابة في ذلك لأنه دليل المفسر وأداته، وسوف أقتصر على ذكر بعض هذه الشواهد في مجال الدلالة اللغوية وأثرها في إبراز معاني القرآن الكريم ومقاصده ومن ذلك :

أ . الآيات القرآنية

القرآن كلام الله المنزل على رسوله ومصطفاه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عجزت عن محاكاته عقول البشر. هو كتاب عقيدة وشريعة، وحكمة وأخلاق، وعلم وبيان، كما أنه نص أدبي رفيع، وهو وحدة واحدة، يفسر بعضه بعضا، ويؤيد بعضه بعضا؛ يقول الرازي: "... والقرآن كله كالكلمة الواحدة"¹، وفي موضع آخر من تفسيره يقول: "... فوجب أن يكون ههنا مفسرا بذلك لأن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب والله أعلم"². ويقول ابن تيمية في تفسير القرآن بالقرآن: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"³ وللقرآن الكريم قداسة كبيرة في فكر الفخر الرازي، ويتضح ذلك من خلال تفسيره له، وما ضم من مواقف تبين احترامه للنص القرآني، وأنه مقدم عنده على بقية المصادر في استنباط المعاني وتأكيداتها؛ لأنه كلام الله تعالى المشهود له بالفصاحة والإعجاز، وفي هذا يقول: "... لأن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب"⁴، ويقول أيضا: "... وأقول إنني لأتعجب كثيرا من تكلفات هؤلاء النحويين في أمثال هذه المواضع، وذلك أنهم لو وجدوا شعرا مجهولا يشهد لما أرادوه فرحوا به، واتخذوه حجة قوية، فورود هذا اللفظ في كلام الله تعالى المشهود من الموافق والمخالف بالفصاحة أولى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها"⁵.

والذي يفهم من هذا النص أن الاستشهاد بالقرآن، والاحتجاج به مقدم عنده على المصادر الأخرى. خصوصا إذا تعلق الأمر بالمسائل اللغوية والنحوية ناهيك عن تفسير القرآن بالقرآن. والمتصفح للتفسير الكبير يلمس ذلك، فكثيرا ما يستشهد الرازي بالنص القرآني عند معالجاته لمعاني الآيات وللقضايا النحوية واللغوية بهدف تأكيد قاعدة نحوية، أو تصحيحها، أو تبيان معاني بعض الحروف أو الأدوات، أو لتثبيت اتفاق النحاة وإجماعهم، أو يبرهن على صحة تخريج آية قرآنية، أو لتوضيح معنى لغوي... وغير ذلك، وكلها أغراض جعلت منهجه يتسم بالموضوعية والعلمية، وأذكر أمثلة عن بعض هذه الأغراض:

1 . تبيان معاني بعض الحروف أو الأدوات .

عالج الرازي مسألة حروف المعاني، وفي كل حالة يستخدم النص القرآني للاستدلال على صحة قاعدة نحوية أو توضيحها، ففي مسألة معاني حرف (الباء)، ذكر بعض معانيها من خلال

الاستعمال اللغوي مستدلا بالقرآن، فقد تكون أصلية، كقوله تعالى: { قل ما كنت بدعا من الرسل } [الأحفاف:9]، وقد تكون زائدة وهي على أوجه: فتكون للإلصاق، كقوله: (أعوذ بالله)، وقوله: (بسم الله). وتكون لتأكيد النفي، كقوله تعالى: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [فصلت:46]، وتكون للتعدية، كقوله تعالى: { ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ } [البقرة:17]؛ أي أذهب نورهم، وتأتي للتبويض عند الشافعي، وقد تكون بمعنى القسم كقوله: (يا الله)⁶.

وذكر ابن هشام في المغني أن لحرف الباء المفردة أربعة عشر معنى، منها التي ذكرها الفخر الرازي، ومثلٌ للتي بمعنى التبويض بقوله تعالى: { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } [الإنسان:6]، ومن معاني الباء الأخرى أنها تكون للاستعانة والمصاحبة والسببية والظرفية والمقابلة والمجازة والاستعلاء والغاية والتوكيد⁷.

أما ابن جني فإنه ينفي أن تكون للتبويض في كتابه (سر صناعة الإعراب)، فيقول: "فأما ما يحكيه أصحاب الشافعي رحمه الله عنه من أن الباء للتبويض، فشيء لا يعرفه أصحابنا، ولا ورد به ثبت"⁸. وفي بيان "أو" في قوله تعالى: { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...

{ [البقرة:74] ذكر أن كلمة (أو) للترديد، وهو لا يليق بكلام علام الغيوب، ثم بين أنها تأتي بمعنى الواو، وبمعنى (بل)، واستدل على الأول بأكثر من آية منها قوله تعالى: { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِثَّةِ آلِ فِ أَوْ يَزِيدُونَ } [الصفات:147] بمعنى: ويزيدون وكقوله تعالى: { وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ } [النور:31]، والمعنى: وآبائهن، ومن نظائره قوله تعالى: { لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه:44]، وأيضا: { فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا } [المرسلات:5، 6]. كما بين أن (أم) تكون على ضربين: متصلة ومنقطعة؛ فالمنقطعة لا تكون إلا بعد كلام تام، لأنها بمعنى (بل والألف)، كقول العرب: (إنها الإبل أم شاء). كأنه قال: بل شاء⁹، واستدل بقوله تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ } [الأحفاف:8]؛ أي: بل يقولون¹⁰.

وفي بيان أن لفظة (أنى) في قوله تعالى: { نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } [البقرة:223] بمعنى أين¹¹، واستدل بقوله تعالى: { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا } [آل عمران:37] والتقدير: من أين لك هذا، فصار تقدير الآية: فأتوا حرثكم أين شئتم، وكلمة: (أين شئتم) تدل على تعدد الأمكنة: اجلس أين شئت، ويكون هذا تخييرا بين الأمكنة¹².

أورد قول النحاة على حكم (إنما) أنها تفيد الحصر، واحتجاجهم بالقرآن والشعر والقياس، قال الرازي: "... في القرآن قوله تعالى: { إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ } [النساء:171]؛ أي ما هو إلا إله واحد،

وقوله: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ } [التوبة:60] ؛ أي لهم لا لغيرهم ، وقال تعالى لمحمد: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ } [الكهف:110] ؛ أي ما أنا إلا بشر مثلكم¹³.

كما ذكر اتفاق أكثر النحويين في سبب إدخال الكاف في قوله (أو كالذي) في الآية: { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا } [البقرة:259] وهو أنه عطف على المعنى؛ أي عطف هذه الآية على التي سبقتها، وهي: { أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ } [البقرة:258]. قال الرازي: "...والنقدير: رأيت كالذي حاج إبراهيم ، أو كالذي مر على قرية ، فيكون هذا عطا على المعنى ، وهو قول الكسائي والفراء وأبي علي الفارسي، وأكثر النحويين قالوا: ونظيره من القرآن قوله تعالى: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ { [المؤمنون:84 ، 85] ثم قال: { قُلْ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [المؤمنون:86، 87] فهذا عطف على المعنى لأن معناه: لمن السماوات ؟ فقيل: لله¹⁴.

كما بين أن (اللام) في قوله (لتزول) من الآية الكريمة: { وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } [إبراهيم:46]، هي لام الجحد كما يسميها النحاة، ومن سبيلها نصب الفعل المستقبل، واستدل بآيتين هما: قوله تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ } [آل عمران:179] وقوله تعالى: { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران:179]¹⁵.

إلا أن ابن هشام في المغني اعترض على قول النحاة ورأى أنها لام (كي)، فقال: "وزعم كثير من الناس في قوله تعالى: { وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } [إبراهيم:46] في قراءة غير الكسائي (بكسر اللام الأولى وفتح الثانية) أنها لام الجحود وفيه نظر؛ لأن النافي على هذا غير (ما) و (لم) ولاختلاف فاعلي (كان) و(تزل) والذي يظهر لي أنها لام (كي) وأنّ (إن) شرطية ؛ أي: وعند الله جزاء مكرهم، وهو مكر أعظم منه وإن كان مكرهم لشدته معدا لأجل زوال الأمور العظام المشبهة في عظمها بالجبال، كما تقول: (أنا أشجع من فلان وإن كان معدا للنوازل)¹⁶.

2. تأكيد قاعدة نحوية أو تصحيحها .

من ذلك ما ذكره في باب الإضمار قبل الذكر، فبين أنه يأتي على وجوه وأفاض في الشرح¹⁷. وملخص ذلك: فالأول: أن يحصل صورة ومعنى مثل قولك: (ضرب غلامه زيدا)، والمشهور أنه لا يجوز ثم ذكر سبب ذلك . والثاني: أن يتقدم المفعول على الفاعل في الصورة لا

في المعنى ,كقولك: (ضرب غلامه زيد) , فالمفعول هنا متقدم على الفاعل في اللفظ لكنه متأخر عنه في المعنى . والثالث: وهو أن يقع في المعنى لا في الصورة , واستدل على ذلك بالنص القرآني, فقال: "...وأما القسم الثالث: وهو أن يقع في المعنى لا في الصورة ,كقوله تعالى: { وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ } [البقرة:124] , فهنا الإضمار قبل الذكر غير حاصل في الصورة, لكنه حاصل في المعنى؛ لأن الفاعل مقدم في المعنى, ومتى صرح بتقديمه لزم الإضمار قبل الذكر"18, كما استشهد بالآية: { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } [التوبة: 6] على أن الفعل قد يكون مضمرًا والتقدير: وإن استجارك أحد من المشركين¹⁹.

والمواضيع التي ناقش فيها الرازي مسألة لغات العرب كثيرة في التفسير الكبير, والغرض منها تبيان أن القرآن نزل بلغات العرب خصوصا القراءات , فنذكر الآتي:

تساءل الرازي عند تعرضه لتفسير قوله تعالى: { ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } [البقرة:232], فقال: لم وحد الكاف في قوله تعالى: "ذلك" مع أنه يخاطب جماعة ؟ ثم أجاب مستدلا بالقرآن, فقال: "هذا جائز في اللغة والتنشئة أيضا جائزة, والقرآن نزل باللغتين جميعا, قال تعالى: { دَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي } [يوسف:37] وقال: { قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنْتَنِي فِيهِ } [يوسف:32], وقال: { أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ } [الأعراف:22]"²⁰.

وبين الرازي مسألة الإضافة اللفظية في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ } [النساء:97] حيث قال أن كلمة (ظالمي) في الحقيقة نكرة وإن أضيفت إلى المعرفة , وعلل ذلك , فقال: "...لأن المعنى على الانفصال كأنه قيل: ظالمين أنفسهم إلا أنهم حذفوا النون طلبا للخفة, واسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال, فقد يكون مفصولا في المعنى وإن كان موصولا في اللفظ, وهو كقوله تعالى: { قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا } [الأحقاف:24] و { هَدِيًّا بَالِغَ الْكُعْبَةِ } [المائدة:95] و { تَأَنِي عَطْفِهِ } [الحج:9], فالإضافة في هذه المواضع كلها لفظية لا معنوية"²¹.

كما بين الرازي فائدة دخول اللام في قوله: (لربهم) في قوله تعالى: { وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْعُضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ } [الأعراف:154] قال: "هو للتقوية؛ لأن تأخير الفعل عن مفعوله يكون ضعيفا في العمل, وقال نظيره قوله تعالى: { إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } [يوسف:43]"²².

وإليه ذهب بدر الدين الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، حيث قال: "وتزداد لتقوية العامل الضعيف إما لتأخره...²³".

3 . يبرهن على تخريج معنى آية قرآنية أو لتوضيح معنى لغوي .

ذكر أن (مَنْ) تستعمل للواحد والتنثية والجمع ، واستدل على ذلك بالقرآن ، فقال: "لفظة (من) لفظة صالحة للتنثية والجمع والواحد ؛ أما في الواحد فقوله تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } [الأنعام:25]، وفي الجمع كقوله: { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ } [يونس:42]، والسبب فيه أنه موحد اللفظ مجموع المعنى ، فعند التوحيد يرجع إلى اللفظ ، وعند الجمع يرجع إلى المعنى ، وحصل الأمران في هذه الآية ، لأن قوله: (يقول) لفظ الواحد و(أما) لفظ الجمع"²⁴.

وقال الزركشي في هذه المسألة: "إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى، بدئ باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن، كقوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ } [العنكبوت: 10] فرد أولاً باعتبار اللفظ، ثم جمع ثانياً باعتبار المعنى فقال: (وما هم بمؤمنين) فعاد الضمير مجموعاً"²⁵.

وفي صحة تخريج معنى الآية: { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } [البقرة:177] قال أن فيه حذف، والتقدير: "ولكن البرُّ برُّ من آمن بالله ، فحذف المضاف وهو كثير في الكلام، كقوله: { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعُجْلَ } [البقرة:93] أي: حب العجل ويقولون: (الجود حاتم) و(الشعر زهير) و(الشجاعة عنزة)"²⁶.

4 . بيان تشابه المعاني القرآنية وتأييد بعضها ببعض .

فمن ذلك تفسير قوله تعالى: { فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [البقرة: 73] فبعدما بسط في تفسيرها وذكر المسائل المتعلقة بها ذكر أن في قوله: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) كلام محذوف، والتقدير: "قلنا اضربوه ببعضها فضرابه ببعضها فحيي، إلا أنه حذف ذلك لدلالة قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى) وعليه هو كقوله تعالى: { فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرْتُ } [البقرة: 60] ؛ أي فضرِب فانفجرت "²⁷.

5 . بيان الفروق بين سياق الآيات وأثره في الدلالة .

لقد لاحظ الرازي أن لكل سياق خصوصية دلالية ضمن الإطار العام للدلالة، وأثبتها في كثير من مواطن تفسيره، وذلك من خلال المقارنة بين التعبيرات القرآنية المتشابهة ، فمن ذلك

نسجل ما جاء في مقارنته بين قوله تعالى في البقرة: { وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة: 58] وقوله تعالى في الأعراف: { وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف: 161] لماذا عبر في الأولى بـ(خطاياكم) وفي الثانية بـ (خطيئاتكم)؛ وذلك لأن سياق كل آية مختلف عن الآخر وهو الذي حدد نوع التعبير؛ حيث في الأولى عبر بجمع الكثرة، وفي الثانية عبر بجمع القلة، يقول الرازي: "... لم قال في البقرة (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) وفي الأعراف (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ) ؟ الجواب: الخطايا: جمع الكثرة و(الخطيئات) جمع السلامة فهو للقلة. وفي سورة البقرة لما أضاف ذلك القول إلى نفسه فقال: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ۖ) لا جرم قرن به ما يليق جوده وكرمه وهو غفران الذنوب الكثيرة فذكر بلفظ الجمع الدال على الكثرة. وفي الأعراف لما لم يصف ذلك إلى نفسه بل قال: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ) لا جرم ذكر ذلك بجمع القلة؛ فالحاصل أنه لما ذكر الفاعل ذكر ما يليق بكرمه من غفران الخطايا الكثيرة ، وفي الأعراف لما لم يسم الفاعل لم يذكر اللفظ الدال على الكثرة²⁸. وتوسع أكثر في ذكر مختلف الفوائد المستفادة في الفروق بين كل تعبير في كلتا الآيتين عندما وصل إلى تفسير هذه الآية في سورة الأعراف²⁹.

6. بيان تنوع دلالة اللفظة.

للكلمة دلالة أصلية ولها دلالات فرعية تكتسبها من خلال ورودها في سياقات مختلفة وقد بينها الرازي في مناسبات عديدة وهو يتعرض لبيان معاني الألفاظ ومن ذلك كلمة (موعد) في قوله تعالى: { فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى } [طه: 58] حيث ذكر أنها تأتي بمعنى المصدر، وبمعنى اسم المكان، وبمعنى اسم الزمان ممثلاً لكل حالة ، فقال الرازي: "... فاعلم أن (الموعد) يجوز أن يكون مصدرًا ويجوز أن يكون اسماً لمكان الوعد، كقوله: { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } [الحجر: 43]، وأن يكون اسماً لزمان الوعد، كقوله: { إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } [هود: 81]، والذي في هذه الآية بمعنى المصدر؛ أي (اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه) ؛ لأن الوعد هو الذي يصح وصفه بالخلف، أما الزمان والمكان فلا يصح وصفهما بذلك³⁰.

أما بالنسبة إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف فالذي تبين لي أن الرازي كان يعتمد على تفسير بعض الآيات، لكنه قليل إذا ما قورن ببقية المصادر؛ ذلك لأن الرازي يشترط لصحة الرواية شرطين هما:

- أن تكون الرواية موافقة للقرآن .

- أن تكون الرواية قوية الإسناد³¹.

ومما يدعم ذلك أنه كان يعتمد في نقل الأخبار والآثار على كتب تفاسير التي تقدمت، وهو يصرح في تفسيره في أكثر من موضع ومنها قوله بعدما أورد عددا من الآثار: " هذه الآثار نقلتها من (الكشاف)"³².

ج . الشواهد الشعرية.

كلام العرب شعرا ونثرا مصدر من مصادر الاحتجاج حيث يحتج به في اللغة، والنحو والصرف بعد كتاب الله تعالى، وحديث رسوله، والشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تُعلِّم اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله تعالى، وغريب حديث رسول الله³³. وكان النحاة عامة ينظرون إلى الشعر بدقة وحذر، ولا يعتمدون إلا على ما ثبت عند صحة نسبه إلى قائله وفصاحته، وصدق راويه والوثوق فيه، وخلوه من الضرورات، لذلك اشتدت عنايتهم بالرواية وأنواعها وطرقها، وبصفات الراوي، وما يجب عليه من الأمانة والصدق، ونحوها³⁴.

ويعتمد في تقرير أحكام اللفظ على (أشعار الجاهلية): وهم الذين كانوا قبل الإسلام كامري القيس وزهير والأعشى. و(المخضرمين): وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كحسان ولييد. و(الإسلاميين): وهم الذين نشأوا في صدر الإسلام كالفرزدق وذي الرمة. وأما (المؤدِّون)، ويقال لهم: (المُحدِّثون): وهم من بعدهم إلى زماننا، وتبتدئ طبقتهم ببشار بن برد (ت 167هـ)، وأبي نواس الحسن بن هانئ (ت 198هـ)، فلا يحتج بشيء من أشعارهم في أحكام اللسان، كما لا يجوز الاحتجاج بشعر، أو نثر لا يُعرف قائله، وعلّة ذلك: الخوف من أن يكون لمؤدِّ، أو ممن لا يوثق بفصاحته.

فإن روى الشعر عربيّ ينطق بالعربية بمقتضى السليقة فيُحتجُّ به، وكان العرب ينشد بعضهم شعره للآخر، فيرويه عنه كما سمعه، أو يتصرف فيه على مقتضى لغته، ولهذا تكثر الروايات في بعض الأبيات، ويكون كلُّ منها صالحا للاحتجاج، كما يُحتجُّ بالشعر الذي يرويه من يوثق به في اللغة، واشتهر بالضبط والإتقان، وإن لم يُعرف قائله. وقد تلقى علماء العربية شواهد كتاب (سبويه)

بالقبول، وفيها شواهد كثيرة لم يعرف أسماء قائلها، فإنما يكون الردّ وجيها إذا روى الشعر من لم يكن عربيا فصيحاً، ولم يشتهر بالضبط والإتقان فيما يسوقه من الشعر على أنه عربي فصيح³⁵. وما نحن بصدده من موارد العربية خاصاً بما يُستشهد به في النحو والصرف واللغة. أما ما يتعلق بالشواهد في المعاني والبيان والبديع؛ فإنه يُستشهد عليها بكلام الشعراء جميعاً، سواء أكانوا في عصر الاحتجاج أم في غيره.

ويعطي الرازي مفهوماً للشعر، وهو يفسر قوله تعالى: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } [يس:69] ، حيث بدأ بتعليل: لم خص الله الشعر بنفي التعليم مع أن الكفار اتهموه أيضاً بالسحر والكهانة فيعلل ذلك ، فيقول: "... وأما الشعر: فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يتلو القرآن عليهم ؛ لكنه ع ما كان يتحدى إلا بالقرآن ، كما قال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ } [البقرة:23] ، ولم يقل إن كنتم في شك من رسالتي فأنطقوا الجذوع ، أو أخبروا بالغيوب ، فلما كان تحديه . صلى الله عليه وسلم . بالكلام ، وكانوا ينسبونه إلى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم³⁶.

وفي نفي الشعر عنه . صلى الله عليه وسلم . ، وتبيان مفهومه ، يقول الرازي: "... وهو أن الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له ، وذلك لأن الشعر يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن؛ فالشاعر يكون اللفظ منه تبعاً للمعنى، والشاعر يكون المعنى منه تبعاً للفظ ، لأنه يقصد لفظاً به يصح وزن الشعر أو قافيته فيحتاج إلى التحيل لمعنى يأتي به لأجل ذلك اللفظ، وعلى هذا نقول: الشعر هو الكلام الموزون الذي قصداً أولياً، وأما من يقصد المعنى فيصدر موزوناً مقفياً، فلا يكون شاعراً، ألا ترى إلى قوله تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } [آل عمران:92] ليس بشعر، والشاعر إذا صدر منه كلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما في الآية تقطيعه بفاعلاتن فاعلاتن يكون شعراً؛ لأنه قصد الإتيان بألفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك والمعنى تبعه، والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الألفاظ، وعلى هذا يحصل الجواب عن قول من يقول: إن النبي ذكر بيت شعر وهو قوله:

* أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لأننا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده إلى الوزن والقافية، وعلى هذا لو صدر من النبي ع كلام كثير موزون مقفياً لا يكون شعراً؛ لعدم قصده اللفظ قصداً أولياً ، ويؤيد ما ذكرنا أنك إذا تتبعت

كلام الناس في الأسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر، ولا يسمى المتكلم به شاعرا، ولا الكلام شعرا لفقد القصد إلى اللفظ أولا³⁷.

ووظف الفخر الرازي مصطلحات وتراكيب لغوية دلت على أمانته العلمية في استعمال الشاهد الشعري سواء الذي نقله هو، أو الذي نقله عن غيره من النحاة واللغويين والمفسرين، ومنها "... وأنشد النحويون /.. قول امرئ القيس/.. قال الشاعر/... وأنشدوا /... وأنشد الكوفيون".

والمتنصفح للتفسير الكبير لا يكاد يمر بمسألة لغوية، أو نحوية، أو معنى من المعاني إلا ويجد شاهدا شعريا قد احتج به الفخر الرازي، وأحيانا يستشهد بأكثر من ثلاث أبيات على معنى واحد³⁸ الأمر الذي يدل على مدى الجهد الفكري الكبير الذي بذله إمامنا في تفسير معنى من المعاني وتوضيح مسألة نحوية، أو لغوية وتبسيطها، أو ترجيحها، أو إبطالها، كغيره من المفسرين وعلماء اللغة من أمثال: محمود الألويسي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جرير الطبري، والزمخشري، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، وغيرهم.

وتتجلى عنايته بالنص الشعري في توثيقه، وتصحيح روايته، والتأكد من دقة معانيه، وتحليل الشاهد فيه موردا آراء اللغويين فيه، ومصححا في أحيان أخرى تأويلات النحاة في بعض الشواهد الشعرية، وقد اتبع الرازي منهجية علمية بينت أغراضه في الاستشهاد بالشعر نوضحا جانبا منها كالاتي:

1. يأتي بالشاهد الشعري لإبراز وتأکید معنى اللفظة المفردة .

ومنه ما جاء في الاستدلال على معنى لفظة (يعنوا) في قوله تعالى: { الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا } [الأعراف:92] ؛ حيث ذكر أن لها معنيين مستدلا بالشاهد الشعري، يقول الرازي: "البحث كأنوا هم الحاسرين الأول في قوله: (كأن لم يعنوا فيها) قولان: أحدهما: يقال غني القوم في دارهم إذا طال مقامهم فيها والثاني المنازل التي كان بها أهلها واحدها مغني قال الشاعر:

* وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ ... فِي ظِلِّ مُلْكٍ تَأْتِبِ الْأَوْتَادِ

أراد أقاموا فيها وعلى هذا الوجه كان قوله: (كأن لم يعنوا فيها) كأن لم يقيموا بها ولم ينزلوا فيها. والقول الثاني: قال الزجاج: (كأن لم يعنوا فيها) كأن لم يعيشوا فيها مستغنين؛ يقال غني الرجل يغني إذا استغنى وهو من الغني الذي هو ضد الفقر.

وإذا عرفت هذا فنقول: على التفسيرين شبه الله حال هؤلاء المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمُر بمكة سامر
بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا ... صرُوفُ الليالي والجُدودُ العَوائر³⁹.

وتتبع الرازي كعادته المعنى الأصلي لكلمة (فاعوا) الواردة في قوله تعالى: { لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [البقرة: 226]، وقال أن (الفيء) في اللغة هو: رجوع الشيء إلى ما كان عليه من قبل. وحكى عن العرب أنهم يفرقون بين (الظل) و(الفيء) واستدل بالشاهد الشعري، يقول الرازي: "... وفرق أهل العربية بين (الظل) و(الفيء) فقالوا: (الفيء ما كان بالعشي)؛ لأنه الذي نسخته الشمس، و(الظل ما كان بالغداة)؛ لأنه لم تنسخه الشمس، وأنشدوا:

لا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من برد العشي تدوق⁴⁰.

ولم يكتف الرازي بذلك، بل ذكر حكاية الفراء عن العرب أنها تقول: (فلان سريع الفيء والفيئة)؛ أي سريع الرجوع عن الغضب إلى الحالة المتقدمة. وذكر أن المال الذي رده الله للمسلمين من مال المشركين يسمى: فيء كأنه كان لهم فرجع إليهم، ليخلص بعد ذلك إلى بيان معنى الآية فقال: "... (فإن فاعوا) معناه: فإن رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فإن الله غفور رحيم) للزوج إذا تاب من إضراره بامرأته. كما أنه غفور رحيم لكل التائبين"⁴¹.

2. يأتي بالشاهد الشعري لتصحيح الرواية.

ومن ذلك مثلا ما ذكره في باب الممنوع من الصرف، حيث أورد قول سيبويه: "السبب الواحد لا يمنع الصرف، وحجته أن المقتضي للصرف قائم وهو الاسم، والسبب أقوى من الواحد، فعند حصول السبب الواحد وجب البقاء على الأصل" وهو خلاف للكوفيين، ثم ذكر شاهدا شعريا احتج به ضد مذهب سيبويه فقال: "... وقد قيل أيضا:

* وَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

وجوابه: أن الرواية الصحيحة في هذا البيت: (يفوقان شيخي في مجمع)⁴². وهو ما ذهب إليه

ابن السراج في كتابه الأصول⁴³.

ورفض الرازي أن يكون النظر المقرون بـ(إلى) بمعنى الانتظار الوارد في التركيب القرآني، وصح الرواية في النص الشعري، فقال: "والذي ندعيه أن (النظر) المقرون بحرف (إلى) المعدي إلى الوجوه ليس إلا بمعنى (الرؤية) ، أو بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر، فوجب أن لا يرد بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك، وأما قول الشاعر:

وَجُوهٌ نَاطِرَاتٌ يَوْمَ بَدْرٍ إِلَيَّ الرَّحْمَنِ تَنْتَظِرُ الْخَلَاصَا

قلنا هذا الشعر موضوع والرواية الصحيحة:

وَجُوهٌ نَاطِرَاتٌ يَوْمَ بَكْرٍ إِلَيَّ الرَّحْمَنِ تَنْتَظِرُ الْخَلَاصَا

والمراد من هذا (الرحمن) مسيلمة الكذاب؛ لأنهم كانوا يسمونه (رحمان اليمامة)، فأصحابه كانوا ينظرون إليه ويتوقعون منه التخلص من الأعداء⁴⁴.

3. يأتي بالشاهد الشعري ليدل على صحة قاعدة نحوية ، أو ترجيح مذهب نحوي.

في تأكيد أن (لو) تختص بالفعل تعرض لماهيتها ، وماهية الاسم والفعل، ومنتها بنص شعري للمتلمس، فقال الرازي: قوله: { قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكُونَ خَرَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ حَشِيَّةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا } [الإسراء: 100] فيه بحث يتعلق بالنحو وبحث آخر يتعلق بعلم البيان أما البحث النحوي: فهو أن كلمة (لو) من شأنها أن تختص بالفعل⁴⁵ لأن كلمة (لو) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره ، والاسم يدل على الذوات، والفعل هو الذي يدل على الآثار والأحوال، والمنتفي هو الأحوال والآثار لا الذوات، فثبت أن كلمة (لو) مختصة بالأفعال، وأنشدوا قول المتلمس:

لَوْ غَيْرَ أَحْوَالِي أَرَادَ نَقِيبَتِي نَصَبْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مَاتَمًا

والمعنى: لو أراد غير أخوالي⁴⁶.

كما يأتي بالنص الشعري ليستدل به على تخريجات نحوية لآيات القرآن الكريم، ومن ذلك مثلا ما أورده في إعراب قوله: "إنا نحن" في قوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى } [يس: 12] ، من أنه يحتمل أن يكون مبتدأ وخبرا ، واستدل بالنص الشعري، فقال: " (إنا نحن) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون مبتدأ وخبرا كقول الشاعر:

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة ، وذلك لأن من لا يُعْرَفُ يقال له من أنت ؟ فيقول أنا ابن فلان فيُعرف ، ومن يكون مشهورا إذا قيل له من أنت ؟ يقول أنا؛ أي لا معرف لي أظهر من

نفسى , فقال: إنا نحن معروفون بأوصاف الكمال , وإذا عرفنا بأنفسنا فلا نتكر قدرتنا على إحياء الموتى⁴⁷. وتساءل الرازي عن عدم تأنيث لفظة (منفطر) في قوله تعالى: { السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا } [المزمل:18], ثم ذكر التأويلات الواردة فيها مستشهدا بالنص الشعري فقال: "...وثانيها قال الفراء : السماء تذكر وتؤنث, وهي ههنا في وجوه التذكير, وأنشد شعرا:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَحِقْنَا بِالنُّجُومِ مَعَ السَّحَابِ⁴⁸

وثالثها: أن تأنيث السماء ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره, قال الأعشى:

فَلَا مَرْئَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِنْقَالَهَا⁴⁹

4 . يأتي بالشاهد ليؤكد صحة اللغات وتعددتها.

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: { وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: من الآية25], حيث تساءل: لم تأتي الصفة مجموعة كالموصوف في قوله: (أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) ؟ ثم أجاب مستدلا ببيت الحماسة فقال: " هما لغتان فصيحتان يقال: (النساءُ فَعَلْنَ) و(النساءُ فَعَلَتْ) , ومنه بيت الحماسة:

وَإِذَا الْعُذَارَى بِالْذُّخَانِ تَقَعَّتْ وَاسْتَعْمَلَتْ نُصَبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتْ

والمعنى : وجماعة أزواج مطهرة"⁵⁰.

وذكر أيضا أن (الباء) تأتي بمعنى (عن), واستدل بالقرآن وبالشعر, فقال: "الباء في قوله تعالى: { وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } [البقرة:166] بمعنى (عن), كقوله تعالى: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } [الفرقان:59] أي عنه, قال علقمة بن عبدة:

فَإِنْ تَسَأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ

أي عن النساء"⁵¹.

وفي مسألة (إنما) ذكر الرازي قول الذين قالوا أنها تفيد الحصر, واحتجاجهم بالقرآن والشعر, والقياس؛ فالشعر قول الأعشى:

وَأَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَأَثِرِ

وقول الفرزدق :

أَنَا الدَّائِدُ الْحَامِي الدَّمَارِ وَإِنَّمَا يَدَافِعُ عَنِ أَحْسَابِهِ أَنَا أَوْ مِثْلِي⁵²

في تأويل الضمير في قوله "فيهن" في الآية الكريمة: { مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } [التوبة:36] ذكر الرازي قول الأكثرين: أنه عائد إلى الأربعة الحرم؛ لأنه أقرب المذكورات هذا العدد قالوا: (فيها) "53". قال الرازي مستشهدا بالنص الشعري: "والأصل فيه أن جمع القلة يكنى عنه كما يكنى عن جماعة مؤنثة، ويكنى عن جمع الكثرة كما يكنى عن واحدة مؤنثة، كما قال حسان بن ثابت:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَفْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

قال: (يلمعن ويقطرن) ؛ لأن الأسياف والجففات جمع قلة ، ولو جمع جمع الكثرة لقال: (تلمع وتقطر)، هذا هو الاختيار. ثم يجوز إجراء أحدهما مجرى الآخر، كقول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ

فقال: (بهن) و(السيوف) جمع كثرة "54".

وفي تفسير قوله تعالى: { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ } [يوسف:100] قال الرازي: "أي (إلي) يقال: (أحسن بي وإليه) ، قال كثير:

أَسْبِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِأَمْوَمَةٍ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ "55"

ذكر الرازي تعدد اللغات في لفظة (ربما) في قوله تعالى: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } [الحجر:2] ؛ لأن نافع وعاصم قرآ (ربما) خفيفة الباء ، والباقون مشددة، وذكر قول أبي حاتم: أهل الحجاز يخففون (ربما)، وقيس ويكر يثقلونها. ثم بسط المسألة موردا احتجاج النحويين بالشعر، فقال: "وأقول في هذه اللفظة لغات؛ وذلك لأن الراء من رب وردت مضمومة ومفتوحة، أما إذا كانت مضمومة فالباء قد وردت مشددة، ومخففة وساكنة وعلى كل التقديرات تارة مع حرف (ما) وتارة بدونها، وأيضا تارة مع التاء وتارة بدونها، و(رب) بتسكين الباء وأنشدوا بيت الهذلي:

أَرْهِيْرُ إِنْ يَنْسِبِ الْقَدَالُ فَإِنِّي ... رَبِّ هَيْضَلٍ مَرَسٍ لَفَقْتُ بِهِيْضَلٍ "56"

د . الأمثال العربية .

المثل قول موجز استخدمه النحاة والبلاغيون والمفسرون في الاستدلال على آرائهم فيما ذهبوا إليه أثناء مناقشتهم للمسائل النحوية أو البلاغية أو توضيح المعاني وتأكيدها ، وقد اعتمده الرازي في تفسيره وجعله أداة يستشهد بها على ما يذهب إليه ، لأنه يدرك ما له من دور في التبليغ . إذ يقول: "ولذلك فإن المعاني الدقيقة إذا أريد إيضاحها ذكر لها مثال فإن المثال يعين على الفهم

⁵⁷، ولذلك كان استشهاده بالأمثال في الغالب على المعاني المعجمية للألفاظ، والمعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب .

وتعددت الأغراض من وراء استخدامه للأمثال يمكن إجمالها كما يلي:

1 . الاستئناس به لإيضاح معنى اللفظة.

ففي قوله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } [البقرة: 256] فسر لفظة

(تبيين) بمعنى: (ظهر ووضح)⁵⁸ ودل على ذلك بالمثل العربي (قد تبين الصبح لذي عينين)⁵⁹.

وكما في بيان معنى لفظة (الظلمة) في قوله تعالى: { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا

أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ } [البقرة: 17] ، والتي معناها في

أصل اللغة عبارة عن (النقصان)، واستدل على ذلك بقوله تعالى: { كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ

مِنْهُ شَيْئًا } [الكهف: 33] ؛ أي لم تنقص⁶⁰ ، وبالمثل القائل : (من أشبه أباه فما ظلم) ؛ أي فما

نقص حق الشبه⁶¹.

2 . الاستدلال به على تأصيل اشتقاقي.

كما في تفسير (الطامة) من قوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى } [النازعات: 34] إذ

يقرر أن معناها عند العرب: الداهية التي لا تستطاع، وفي اشتقاقها وجوه فيذكر قول المبرد: بأنها

أخذت فيما من قولهم (طمَّ الفرس طميماً) إذا استقرغ جهده في الجري و(طم الماء) إذا ملأ

النهر كله⁶² . قول الليث: الطَّمُّ: طَمُّ بالتراب وهو الكبْس. ويقال: (طم السيل الركيَّة) إذا دفنها حتى

* يسويها، ويقال للشيء الذي يكبر حتى يعلو: (قد طم)، والطامة: الحادثة التي تطم على ما

سواها. قول القفال: أصل (الطم): الدفن والعلو. وكل ما غلب شيئاً وقهره وأخفاه فقد طمه، ومنه

(الماء الطامي): وهو الكثير الزائد. والطاغي والعاتي والعاذي سواء وهو: الخارج عن أمر الله

تعالى المتكبر. ثم استأنس بالمثل (فوق كل طامة طامة) ليخلص إلى أن: "... الطامة اسم لكل

داهية عظيمة ينسى ما قبلها في جنبها"⁶³ .

وفي قوله تعالى: { تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } [البقرة: من الآية 196]

يأتي بمثل لبيان الأصل الاشتقاقي للفظ (تمتع)، فيقول: "معنى التمتع: التلذذ. يقال: (تمتع

بالشيء)؛ أي تلذذ به. والمتاع: كل شيء يتمتع به، وأصله من قولهم: (حبيل ماتع)؛ أي طويل،

وكل من طالت صحبتته مع الشيء فهو متمتع به. والمتمتع بالعمرة إلى الحج هو أن يقدم مكة فيعتمر في أشهر الحج ثم يقيم بمكة حالاً لينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك، وإنما سمي متمتعاً لأنه يكون مستمتعاً بمحظورات الإحرام فيما بين تحلله من العمرة إلى إحرامه بالحج. والتمتع على هذا الوجه صحيح لا كراهة فيه⁶⁴.

3 . الاستدلال به على مسألة نحوية .

من ذلك عند تفسير لقوله تعالى: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا

نُكذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الأنعام:27] حيث ذكر عدة احتمالات في قوله:

(وَلَا نُكذَّبُ) من حيث محلها الإعرابي فذكر عدة وجوه منها: أن يكون معناه: (الحال)، يقول: "... والثالث أن يكون معناه الحال، والتقدير: يا ليتنا نرد غير مكذبين. كما تقول العرب: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن)⁶⁵. وفي قوله تعالى: { قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } [البقرة: من الآية 249] يستدل على لفظه (الطاقة) بأنها اسم بمثل (الطاعة) فيقول: " (الطاقة) مصدر بمنزلة (الإطاعة)، يقال: (أطقت الشيء إطاعة وطاقه). ومثلها: (أطاع إطاعة) والاسم (الطاعة)، و(أغار يغير إغارة)، والاسم (الغارة) و(أجاب يجيب إجابة)، والاسم (الجابة) . وفي المثل (أساء سمعاً فأساء جابة) ؛ أي جواباً⁶⁶ .

الهوامش

- 1 . فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، التفسير الكبير ، ت: هاني الحاج وعماد زكي البارودي . المكتبة التوفيقية ، (د.ط) ، مصر: 2003م ، ج 2 ، ص 159
- 2 . المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 38
- 3 . ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1980م ، ص 39
- 4 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 38
- 5 . المصدر نفسه ، المواضع: ج 5 ، ص 123 و ج 19 ، ص 127
- 6 . ينظر: التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 102 .
- 7 . جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب . ط 2 ، دار السلام ، القاهرة: 1426هـ/2005م، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 229 . 240
- 8 . ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، تح: حسين هندأوي ، ط 1 دار القلم ، دمشق: 1985م ، ج 1 ، ص 123
- 9 . أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ط 3 مكتبة الخانجي ، القاهرة: 1408هـ/1988م ، ج 3 ، ص 172 . 175 وأيضاً: ص 178 و 190 .

10. ينظر: التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 225
11. سيويه ، الكتاب ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 235
12. ينظر: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج 6 ، ص 66
13. المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 10 / وجمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري. شرح شذورالذهب ، تح: بركات يوسف هيود، ط1، دار الفكر، بيروت:1424هـ/2003م، ص364 و 365
14. التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 30 / والفراء ، معاني القرآن ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 155 .
15. ينظر: التفسير الكبير، المصدر السابق ، ج 19 ، ص 119
16. ابن هشام ، مغني اللبيب ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 484
17. ينظر بالتفصيل في التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 63 و 64
18. التفسير الكبير، المصدر السابق، ج 1، ص 64/ وينظر ابن الأنباري ، الإنصاف ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 70 / وابن هشام ، مغني اللبيب. المرجع السابق ، ج 2، ص 1141، و شرح شذور الذهب. المرجع السابق، ص 184
19. ينظر: التفسير الكبير، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 64 / والزمخشري ، الكشاف، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 472
20. التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 6 ، ص 105
21. التفسير الكبير، المرجع السابق، ج 11، ص 11/ وينظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 328
22. التفسير الكبير، المرجع السابق ، ج 15 ، ص 13
23. الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، المرجع السابق ج 3 ، ص 86 ، وابن هشام ، مغني اللبيب، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 1141
24. التفسير الكبير، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 64
25. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 380
26. التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 34 و 35 / وابن الأنباري ، الإنصاف ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 372 / وابن هشام ، مغني اللبيب ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 349
27. التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 3 ، ص 120 ، 121
28. التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 3 ، ص 91
29. للمزيد ينظر: المصدر نفه ، ج 15 ، ص 29 ، 30
30. التفسير الكبير، المرجع السابق ، ج 22 ، ص 73
31. المصدر نفه ، ج 24 ، ص 77
32. المصدر نفه ، ج 27 ، ص 30

- 33 . ينظر: ابن فارس. الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها , تح : عمر فاروق الطباع , ط 1 مكتبة المعارف , بيروت , لبنان 1414 هـ . 1993م , ص 268
- 34 . ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي , المزهر في علوم اللغة وأنواعها , ت: فؤاد علي منصور , دار الكتب العلمية , ط 1 ؛ بيروت : 1998م , ج 1, ص 136 و 137
- 35 . ينظر: محمد الخضر حسين, دراسات في العربية وتاريخها, دارالفتح, (د.ط)؛ دمشق: 1380هـ/ 1960م, ص 39
- 36 . التفسير الكبير , المصدر السابق, ج 26 , ص 97 و 98
- * . أخرجه مسلم (رقم : 1776 / الجهاد والسير / باب : في غزوة حنين) من حديث البراء بن عازب
- 37 . التفسير الكبير , المصدر السابق, ج 26 , ص 97 و 98
- 38 . ينظر: المصدر نفسه , ج 13 , ص 119
- * . السمين الحلبي , الدر المصون, المرجع السابق , ج 5, ص 387 , وهو من قصيدته الدالية المشهورة التي كانت مثار إعجاب الخلفاء والولاة .
- 39 . التفسير الكبير , المصدر السابق, ج 14 , ص 159 / وينظر أيضا : الواحدي , البسيط, المرجع السابق, ج 9 , ص 238 , 238
- 40 . التفسير الكبير , المصدر السابق, ج 6 , ص 74 . / وينظر أيضا: الدر المصون , المرجع السابق , ج 7 , ص 228
- 41 . التفسير الكبير , المصدر السابق, ج 6 , 75
- * . وروى الزمخشري في الكشاف , المرجع السابق , ج 1 , ص 682 , لفظة (مرداس) بصيغة (جدي) فقال: " وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول:
- أَنْجَعُلُ نَهْبِي وَنَهَبَ الْعَبِيدِ ... بَيْنَ عَيْبَةِ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ جَدِّي فِي مَجْمَعِ
- 42 . التفسير الكبير , المصدر السابق, ج 1 ص 60
- 43 . ينظر: ابن السراج , الأصول في النحو. تح: عبد الحسين القتلي , ط 4 , مؤسسة الرسالة , بيروت : 1420هـ/ 1999م ج 3 , ص 437
- 44 . التفسير الكبير , المصدر السابق, ج 30 , ص 213 و 214
- 45 . ينظر: الزمخشري , الكشاف , المرجع السابق , ج 1 , ص 697 / والزرکشي , البرهان في علوم القرآن , المرجع السابق , ج 4 , ص 371/ وأبوالبقاء العكبري , التبيان في إعراب القرآن , ت: علي محمد البجاوي , (د.ط) إحياء الكتب العربي , (د.ت) , ج 2 , ص 97
- 46 . التفسير الكبير, المصدر السابق, ج 21 , ص 57
- في الكشاف ج , 4 , ص 458 , قال : " وشعري شعري , كأنه قال: وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته * وبراغته "

- 47 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج26 ، ص45، وينظر في المصدر نفسه ج29 ، ص142 في تفسير قوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ" [الواقعة:10] / والزركشي، البرهان في علوم القرآن ، المرجع السابق ، ج2 ، ص224
- 48 . ينظر: الفراء ، معاني القرآن ، المرجع السابق ، ج5 ، ص151
- 49 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج30 ، ص171
- 50 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج2 ، ص130
- 51 . المصدر نفسه ، ج4 ، ص203 / وينظر أيضا في المصدر نفسه ، ج24 ، ص99 عند تفسير قوله تعالى: "فاسأل به خبيرا" [الفرقان:59] .
- 52 . ينظر: التفسير الكبير، المصدر السابق، ج5 ، ص10 ، وأيضا ، ج16 ، ص91 عند تفسير قوله تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ..." [التوبة:60]
- 53 . الفراء ، معاني القرآن ، المرجع السابق ، ج2 ، ص105 .
- 54 . التفسير الكبير، المصدر السابق، ج16، ص48/ والزركشي، البرهان في علوم القرآن ، المرجع السابق، ج3، ص357
- 55 . التفسير الكبير، المواضع: ج18 ، ص176 و ج20 ، ص152
- 56 . التفسير الكبير، المصدر السابق، ج19 ، ص125/ وابن السراج ، الأصول في النحو ، المرجع السابق ، ج1 ، ص416 . 423 ، باب (رب) / وابن الأتباري ، الإنصاف ، المرجع السابق ، ج1 ، ص285 و 286 وأيضا: ج2، ص833 و 834 / وابن هشام ، مغني اللبيب، المرجع السابق ، ج1 ، ص311 . 318
- 57 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج7 ، ص161
- 58 . المصدر نفسه ، ج7 ، ص19 / والواحي ، البسيط ، المرجع السابق ، ج4 ، ص361
- 59 . ينظر: التفسير الكبير، المصدر السابق ، ج7 ، ص19
- 60 . الواحي ، البسيط ، المرجع السابق ، ج2 ، ص389
- 61 . ينظر التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج2 ، ص78
- 62 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج31 ، ص50
- . الرِّكْيَةُ: البئر، والجمع: وجمعها رَكِيٌّ وَرَكَايَا ... ، وفي المثل: "صارت القوس رَكْوَةً" ، يضرب في الإدبار * وانقلاب الأمور. ينظر: الجوهري . الصحاح، المرجع السابق، ج6 ، ص2360، مادة: (ركا).
- 63 . ينظر: التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج31 ، ص50
- 64 . المصدر نفسه ، ج5 ، ص138
- 65 . التفسير الكبير، المصدر السابق، ج12، ص164
- 66 . المصدر نفسه ، ج6 ، ص165

قائمة المصادر والمراجع/

1 . ابن الأتباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، ت 577هـ)

2. أسرار العربية . تحقيق: بركات يوسف هبود . الطبعة الأولى؛ دار الأرقم، بيروت: 1999م.
3. الإنصاف في مسائل الخلاف . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة ، القاهرة : 1945.
4. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، مقدمة في أصول التفسير ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1980م
3. أبوالبقاء العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، ت: علي محمد الجاوي ، (د.ط) إحياء الكتب العربي ، (د.ت) ، ج2
4. ابن جني (أبو الفتح عثمان ، ت392هـ) . سر صناعة الإعراب . تحقيق: د.حسن هندواوي . دار القلم ، الطبعة الأولى ؛ دمشق: 1985م ، الأجزاء: 1 .
5. الزركشي (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله . ت794هـ). البرهان في علوم القرآن . تحقيق: د. محمد أبو الفضل . الطبعة الأولى، دار المعرفة ، بيروت: 1957م ، الجزء: 2 ، 3 ، 4
6. الزمخشري (القاسم جار الله محمود بن عمر، ت538هـ) . الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . مطبعة البابي الحلبي ، (د.ط) ؛ مصر: 1367هـ ، الأجزاء: 1 ، 2 ، 3
7. المفصل في صناعة الإعراب .تح: علي بوملحم. الطبعة الأولى؛ مكتبة الهلال، بيروت: 1993.
8. ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري البغدادي 316هـ) ، الأصول في النحو . تحقيق: عبد الحسين القتلي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة؛ بيروت لبنان: 1420هـ/1999م ، الأجزاء: 1
8. السمين الحلبي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم . ت756هـ). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمد الخراط ، (د.ط) ، دار القلم ، دمشق (د.ت) الجزء: 5
9. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت180هـ). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1408هـ/1988م ، الأجزاء: 1 ، 2 ، 4
10. محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، دارالفتح، (د.ط)؛ دمشق: 1380هـ/ 1960م
11. ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، ت395هـ).
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها . تحقيق: : عمر فاروق الطباع ، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان 1414هـ . 1993م
12. الفخر الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، ت606هـ) . التفسير الكبير. ت: هاني الحاج وعماد زكي البارودي . المكتبة التوفيقية ، (د.ط) ، مصر: 2003م
الأجزاء من 1 إلى 32

- 13 . الفراء (أبو زكرياء يحيى بن زياد 207هـ). **معاني القرآن** . تحقيق: محمد علي نجار وآخرون، (د.ط) ، دار المصرية ، مصر: (د.ت)، الجزء: 5
- 14 . ابن هشام الأنصاري (جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري.ت761هـ) . **شرح شذور الذهب** . تحقيق: بركات يوسف هبود ، الطبعة الأولى ؛ دار الفكر، بيروت ، لبنان: 1424هـ/2003م.
- . **مغني اللبيب عن كتب الأعراب** . الطبعة الثانية ؛ دار السلام ، القاهرة ، مصر: 1426هـ/2005م ، الأجزاء : 1 ، 2 .
- 15 . الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي). **البيسط** ، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، الطبعة الأولى؛ مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض . 1430هـ، الجزء :9